

لهدية من أفضلة من المترجم إلى صاحب المحامي السيد تقي زاده رئيس مجلس الاعيان
الديواني ، اعتراضاً بفضل معاليه على النهضة العلمية والأدبية في إيران

رحلتريج

٢٤/٤

الوزير المفضّل لفارة الواقعة
في طهران

في

١٥ صفر ١٣٧١
١٠ آذار ١٩٥٢

العراق عكاس

« قصة المقيمة في كردستان ، وفي موقع نينوى القديم مع عرض لسياحة »
« مع مجرى دجلة الى بغداد وتقرير في زيارة (شيراز) و (به رسة بولس) »
طبعتها ارملة عام ١٨٣٦

١٤
٨-٩

الجزء الاول

كلود يوسين جيمس فيج

ممثل شركة الهند الشرقية ، والمقيم البريطاني في بغداد
في اوائل القرن التاسع عشر

٢٢٢٧



نقلها الى العربية

هذه الترجمة لوزي

الحقوق محفوظة للمترجم

طبع بمطبعة السكك الحديدية - بغداد - ١٩٥١

محتويات الكتاب

- الصفحة (٣) . محتويات الكتاب .
الصفحة (٦) فهرست الالواح والرسوم .
الصفحة (٧) كلمة المترجم .
الصفحة (١٢) مقدمة الناشرة .
الصفحة (١٤) مختصر حياة المستر ريج .

الفصل الاول : الصفحات ١ - ٢٥

الرحيل من دار الاقامة - كيفية السفر - وصف جماعتنا - الزوابع - كبرى -
الحرائب الساسانية - ضيافة رئيس عشيرة البيات - منابع النفط في (طوز خورماتو) .

الفصل الثاني : الصفحات ٢٦ - ٥٣

مغادرة طوز خورماتو - وادي ليلان - مخيم يوسف اغا ، ضيافته - الدخول
الى كردستان - الزرع ومظهر البلاد - هدايا مؤن من باشا السليمانية - الوصول
الى مضربنا قبل السليمانية - زيارة الباشا - امجاد الاكراد .

الفصل الثالث : الصفحات ٥٤ - ٧٦

عثمان بك - الدخول الى السليمانية - زيارة الباشا - وصف دارنا - تعلق
الاكراد برؤسائهم - قصص - عراق الحجل - افغانيون في شهرزور - زهنيون
والعشرة الاف .

الفصل الرابع : الصفحات ٧٧ - ٩٦

حديث مع الباشا - كيخسرو بك - عشيرة الجاف الكردية - مناخ السليمانية -
فطور مع الباشا - نفوس السليمانية - الرماية - تخت سليمان - حفريات اثرية -
حفل موسيقى - الزورخانه او الملعب - عشاء في بيت عثمان بك - الصلاة الشرقية -
سليمان بك - المهارة في استعمال السيوف - الزراعة - شهر رمضان .

الفصل الخامس : الصفحات ٩٧ - ١١٠

الجندي الروسي الباسل - قسوة امير كرمشاه - التقى المسلم العظيم - منتجات
كردستان الطبيعية - تقوى محمود باشا - قصة - توقيف عبدالله باشا - العيد -
العشائر الكردية - قصة - عشائر بلباس - العوائل الحاكمة في كردستان - وصول
دهلي (المجنون) سمعان مع العاديات .

الفصل السادس : الصفحات ١١١ - ١٢٩

الرحيل من السليمانية الى الجبال - مضيق كويزه - الخيام تنصب في كهدهدي -
لطافة الموقع - الجلبة والضوضاء عند التحميل - جبال شامخة - الكروم - الحبوب -
بلاد جميلة - ضابط كبير منطقة قزلجه - مغالطات مضحكة - صعود شاق - اولاد خالد

بك - معسكر في احمد كلوان - الحاصدون يتغنون بفرهاد وشيرين - الجراد درجه -
حرارة الينابيع - الضفادع الحضر - لعبة غريبة - الرحيل من احمد كلوان - السفر
الرحيل من بيستان - بنجوين - مضارب الجاف - الجماعات الرحالة - سيدة
الى بيستان - الطنوف الاصطناعية - بيستان غير صحية - مرض جماعتي كلهم -
وخدمها - اليهود .

الفصل السابع : الصفحات ١٣٠ - ١٥٦

الدخول الى ايران - بحيرة (زهري بار) - كيخسرو بك - مضارب الجاف -
مباراة الجريد - عبور جبل (زغروس) - قرويو (كه دران) - شتاء قارص - نزاع بين
الجاف - سنه - فطور فخم - القصر - استبداد والي سنه - الحداد العام - الثورة -
وفاة ابن الوالي - قنوط الوالي وقسوته - خوف رعيته - تغيير في خطتنا - فزع وزراء
الوالي - استعطاف المجلس - نجاح المجلس - فرحهم وامتنانهم - الرحيل من سنه الى
مضرب الوالي .

الفصل الثامن : الصفحات ١٥٧ - ١٧٢

الرحيل عن (سنه) - مناظر الارض - خيام كولانه - ساسة الاكراد العظماء -
نهر قيزيل (اوزون) - المضارب - ملاحظات قروي - سلوك الجاف غير القانوني -
طريق ناهد - مرطبات من العسل والزبدة - الوصول الى قرية ميك - السيدة ربيع
تؤخذ الى قرية اخرى - خلايا النحل - التحاق السيدة ربيع بنا - هدية فواكه من الوالي
- الوصول الى بانه - نجل الوالي - فواكه يانعة .

الفصل التاسع : الصفحات ١٧٣ - ١٩٠

زيارتنا لوالي سنه - قلعة بانه - حديث الوالي - زواج ابنة - الوالي يرد زيارتي -
قسوته في بانه - التهيو للرحيل - عوائق غير منتظرة - صعوبة الحصول على دواب
الحمل - اعتذار الوالي - سلطان بانه - بدء مسيرنا - رئيس القرية - رفضه السماح
لنا باستمرارنا على المسير - موقف سيء - القرار لشق طريقنا قنالا - خوف رئيس
القرية - سماحه لنا بالمسير - جبال - دخول منطقة البابانيين - اتباع عمر اغا -
خرائب قالا جوالان - فواكه يانعة - تلال حدود - الوصول الى السليمانية .

الفصل العاشر : الصفحات ١٩١ - ٢١١

فشل التطعيم ضد الجدري - وفاة عثمان بك - خزن الباشا - المواقع الاثرية
في شهرزور - اسكندر الكبير والاميرة الهندية - اسماء المناطق - عمر اغا - اضطهاد
وحبسه - تعلق اتباعه به - نزاعته - كراهيته لعثمان بك - رحمة الله التاتار - رحلته
في الجبال المنبوعة المنقطعة التي تسكنها عشائر الكلدانيين المسيحيين - العبادية - نصيحة
الباشا الى التاتار - مصاعبه ومخاطره - المضارب الكلدانية - خبز الرز - دهشة
الكلدانيين لرؤيتهم رحمة الله بينهم - ازدرأؤهم لمحمد - اليزيديون - مدينة وان -
اسماء القبائل الكردية - حفلة عرس - السيدات يرقصن - مقام المرأة الكردية -
لباس الرجال - قصة داره شماته - شيخ باباني جليل .

الفصل الحادى عشر : الصفحات ٢١٢ - ٢٣١

كآبة الباشا وحزنه - نجله الاكبر يرسل رهينة الى كرمشاه - مرض نجله الاصغر - فتنة بين افراد عائلته - احمد بك الداروشمانى - عشائر راوندوز - مراسيم الجنائز عند الاكراد - العائلة البابانية - شجرة الامراء البابانيين - موت ابن الباشا الصغير بالجدرى - تأثر الباشا - سليمان بك - تجارة السلیمانية - الحديث مع عثمان بك - رغبة الباشا فى التنازل عن منصبه - عمر اغا - ذكاؤه ودقته - المقارنة بين الاكراد والأتراك والایرانيين - لقمان - زيارة لوداع الباشا - معادلات دينية - عثمان بك يستدعى لتسليم منصبه - رفضه الامتثال - ميزات الحلق الكردي - هروب خالد الدرويش الكبير - زيارة الباشا الاخيرة الى المستر ريج - حديث شيق - حزن الباشا لفقده ولده - خلقه - التهيؤ للرحيل من كردستان - الحزن على فراق اهل كردستان .

انتهاء الجزء الاول

الفصل الثانى عشر : الصفحات ٢٣٣ - ٢٥٣

الرحيل من السلیمانية - وصف البلاد - قرية دهر كهزين - عمر اغا - نجله - مضيق (ددر به ند) - مغادرة كردستان - اخبار من السلیمانية - خيبة عمر اغا - سهل جميل - قرى - طنف اصطناعى - نهر كابروس (الباء فارسية) او الزاب الصغير - التون كوبرى - مخيم فارس آغا خسته - مشاهد اربيل للمرة الاولى - وصف المدينة - سهل اربيل - كوكه مالا (الكافان فارسيتان) - جبل مقلوب - قرية (كلك) اليزيدية - نهر الزاب او (لى كوس) - مظهر البلاد - نهر الحازر او (بومادوس Bumadus) - الحاج جرجيس اغا - مدينة كرمليس - خرائب نينوى - الوصول الى الموصل .

الملحق الاول

الصفحات ٢٥٤ - ٢٧٥

شذرات من مذكرات السيدة ريج فى رحلتها من بغداد الى السلیمانية

الملحق الثانى

الصفحات ٢٧٦ - ٣٠٧

رحلة الى اطلال (زندان) و (قصر شيرين) و (حوش كهرو) مصححا من (حوش كهروك) . . . الخ .

الملحق الثالث

الصفحات ٣٠٨ - ٣١٤

معلومات مستقاة من الاهل عن الجزيرة والبلاد المجاورة لها .

الملحق الرابع

الصفحات : ٣١٥ - ٣٢٠

سلسلة امراء العائلة البابانية.

الملحق الخامس

الصفحات : ٣٢١ - ٣٢٣

معلومات مستقاة في (احمد كلوان) عن الطرق المؤدية الى اماكن مختلفة.

الملحق السادس

الصفحات : ٣٢٤ - ٣٢٧

تفاصيل في طوبوغرافية كردستان.

فهرست الالواح والرسوم

مدينة كبرى المسورة.	٢٥	قبالة الصفحة
اللوح رقم (١) احد كبار موظفى باشا السليمانية.	٤٨	قبالة الصفحة
اللوح رقم (٢) رجل من الجاف.	٧٧	قبالة الصفحة
لباس رأس، من البسة الجيش الانكشارى.	١٤٣	قبالة الصفحة
اللوح رقم (٣) جنديان كرديان من (آورامان - هاورامان).	١٤٤	قبالة الصفحة
اللوح رقم (٤) زوجان نسطوريان من (حهكارى) من عشيرة (جهلو).	١٩٦	قبالة الصفحة
حفلة عرس، السيدات الكرديات يرقصن.	٢٠١	قبالة الصفحة
اللوح رقم (٥) مدينة اربيل، كما رسمها المستر ريج عام ١٨٢٠	٢٤٤	قبالة الصفحة
اللوح رقم (٦) زوجان يزديان من (سنگار).	٢٤٨	قبالة الصفحة
نقوش اغريقية.	٢٦٠	قبالة الصفحة
زندان	٢٨٠	الصفحة
طرف زندان الشرقى.	٢٨١	الصفحة
كوة فى زندان.	٢٨٢	الصفحة
قصر شيرين.	٢٩٠	الصفحة

كلمة المترجم

١

كان نقل هذه الرحلة الى العربية ، الثمرة الثانية من ثمرات اوقات الفراغ التي اتسعت للمترجم بسخاء في اواسط عام ١٩٤٤ وما بعده ، وكانت الثمرة الاولى كتاب (جنكيز خان) (١) الذي نقله من الانكليزية ايضا . وهناك ثمرات اخرى ارجو ان يفسح لها مجال النشر ؛ من بينها ترجمة الجزء الثاني لهذه الرحلة وترجمة كتاب (النجاة من الرق) لمؤلفه المربي الكبير الزنجي الامريكي (بوكهرو واشنطن) وقد نقله من التركية ، وترجمة كتاب (سرانجام) وهو احد الكتب المتداولة بين (أهل الحق) (٢) .

طبعت اصل هذه الرحلة ارملة المستر ريج عام ١٨٣٦ ، وذلك بعد وفاته بخمسة عشر عاما ، وقد جاءت الرحلة بعنوان مطول هو :

« قصة المقيمة في كردستان ، وفي موقع نينوى القديم ، مع عرض لسياحة مع مجرى دجلة الى بغداد ، وتقرير في زيارة شيراز و بهرسه بولس » (٣) .

ولما كانت الرحلة تمس الاحوال الادارية والسياسية والعشائرية والاقتصادية في البلاد العراقية ، بكيانها السياسي الراهن - وقسم من البلاد المجاورة لها - استحسنت المترجم تسميتها بـ : -

(رحلة ريج في العراق عام ١٨٢٠) .

(١) جنكيز خان - امبراطور الناس كلهم . مؤلفه هارولد لامب ، ترجمة اللواء بهاء الدين نوري ، مطبعة السكك الحديدية العراقية - بغداد ١٩٤٦ .
(٢) راجع الصفحة ٥٤ من كتاب (الكاكاوية في التأريخ) للمحامى عباس العزاوي ، شركة التجارة والطباعة المحدودة - بغداد . ١٣٦٨ هـ - ١٩٤٩ م .

NARRATIVE OF A RESIDENCE IN KURDISTAN AND ON (٣)
THE SITE OF ANICENT NINEVEH, WITH JOURNAL OF A VOYAGE
DOWN THE TIGRIS TO BAGHDAD AND AN ACCOUNT OF A VISIT TO
SHIRAUZ AND PERSEPOLIS.

BY THE LATE, CLAUDIUS JAMES RICH ESQRE, EDITED BY HIS
WIDOW.

LONDON, JAMES DUNCAN PATERNUSTER ROW. MDCCCXXXVI.

نشر الأستاذ السيد عباس الغزاوي المحامي عام ١٩٤٨ رحلة نقلها عن
 الفارسية ووسمها بـ (رحلة المشيء البغدادي) (٤) ، والمشيء البغدادي هو
 السكرتير الايراني للمقيمة البريطانية في بغداد على عهد المستر ريج صاحب
 الرحلة - وقد رافقه المشيء البغدادي في رحلته هذه ، ولقد كانت هذه
 الرحلة رهن الطبع في الوقت الذي نشر الأستاذ الغزاوي كتابه ، ولكن
 ظروفًا خاصة أجلت صدورهما الى الآن ، هذا ومع ان رحلة المشيء البغدادي
 او الآغا سيد - على حد تعبير المستر ريج - جاءت مختصرة لا تعدو ان
 تكون رؤوس اقلام اذا ما اردنا قياسها بهذه الرحلة ، فمما لاشك فيه ان
 الرجوع اليها احيانا للمقارنة عند مطالعة رحلة ريج لا تخلو من
 فوائد جمة . ويجب التنويه الى ان المشيء البغدادي قد اضاف الى رحلته
 بعض الارقام عن الابعاد بين مكان وآخر لم تستند على رحلات قام بها مع المستر
 ريج وذلك بين (سنه) و (تبريز) و (مراغه) و (كرمنشاه) ؛ وقد انتهى
 المستر ريج سياحته في (سنه) وآب منها راجعا الى (السليمانية) و (اربيل)
 و (الموصل) ومنها بالكلك الى (بغداد) ..

وجاء في الصفحة (١٠١) من رحلة المشيء البغدادي :

« وهذه الرحلة لا يكفي اتنى اكمليت بعض النقص فيها ، وانما يكملها
 ما كتبه المستر ريج نفسه ، ومما دونه من مذكرات طبعت بعد وفاته سنة
 ١٨٣٦ م - ١٢٥٢ هـ نشرتها ارملة ، ولو نقلت الى العربية لكانت الواحدة
 متممة للآخرى . وفي هذه الايام سمعت ان الأستاذ بهاء الدين نوري شرع
 بالعمل فقوى الامل » ..

ويقول المترجم على ذلك انه يرجو ان يكون بنشره هذه الرحلة عند
 حسن ظن القراء في اتمام الغرض العلمي البحت بعض الاتمام . والواجب
 يقضى على المترجم ان يشير على القارئ الكريم اذا اراد التوسع في بعض
 البحوث ، ان يرجع الى كتاب (اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث) (٥) ،
 والى كتاب (بغداد في الايام الغابرة) وهو سجل حياة المستر ريج
 ولم يترجم بعد (٦) ..

(٤) (رحلة المشيء البغدادي) ، نقلها عن الفارسية عباس الغزاوي المحامي ،
 طبع شركة التجارة والطباعة المحدودة ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٨ م . بغداد - الكرخ .
 (٥)

وبمراجعة الصفحة ٢٣٢ نطلع على ان المترجم لم يشأ ان ينهي الجزء الاول من الرحلة كما انها المستر ريج بالفصل الحادى العشر ، بل اضاف عليه الفصل الاول من الجزء الثانى ، وهو الفصل الثانى عشر من الرحلة اذ يصل به الرحالة الى (الموصل) ، كل ذلك لاعتقاد المترجم بأن الصفحة الثانية من الرحلة تبدأ بيوميات (ريج) عما شاهده فى (الموصل) ونواحيها وما كتبه عنها وعن سفره منها نهرا وبالكلك الى (بغداد) واتمامه رحلته من بعدها .

وبمراجعة عنوان الصفحة ٢٧٦ نعلم ان المترجم اضاف ايضا الى هذا الجزء ملحقا من ملاحق الجزء الثانى ، وهو الباحث فى رحلة اخرى قصيرة قام بها المستر ريج الى « اطلال (زندان) و (قصر شيرين) و (حوش كه رو) ... الخ عند حدود كردستان الجنوبية خلال شهرى آذار ونيسان ١٨٢٠ » وذلك قبل شروعه برحلته الكبيرة ؛ والفترة بين الرحلتين ثلاثة عشر يوما - وياحبذا لو طالع القارىء الرحلة القصيرة قبل الكبيرة ، والمترجم يعتقد ان الاولى جاءت تمهيدا الى الثانية فى الواقع والتدوين ...

٣

ومن مطالعة رحلتى ريج يجد القارىء انه تطرق فى يومياته بين الفينة والاخرى تطرقا مباشرا وغير مباشر الى شؤون شتى من ادارية وسياسية واقتصادية واثنوغرافية ، والى اساليب الحكم فى اجزاء مناطق باشوات (بغداد) و (السليمانية) و (الموصل) وغيرها ، والى العلاقات الدبلوماسية بين السلطتين التركية - العثمانية - والارمنية التى كانت فى حينها متوترة بعض التوتر على قدر اتصالها برغبة بسط النفوذ او الاستيلاء على الحكم غير المباشر على قسم من نواحي الحدود بين المملكتين ، نخص منها ما كان فى منطقة باشوية السليمانية ، هذا علاوة على مسه طرق السيطرة على السكان

(٥) (اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث) لمؤلفه المستر ستيفن همسلى لونكريك ، ونقله الى العربية جعفر خياط ، مطبعة التفيض الاهلية - بغداد .
١٩٤١ م - ١٣٦٠ هـ .

FOUR CENTURIES OF MODERN IRAQ. BY STEPHEN
HEMSLEY LONGRIGG. OXFORD AT THE CLARENDON PRESS, 1925.
BAGHDAD IN BYGONE DAYS, BY C. M. ALEXANDER. PUBLISHED (٦)
BY JOHN MURRY - LONDON.

القبليين والقرويين المتأخمين وغيرهم . ومما دونه المستر ريج وبحث فيه ،
يمكن لنا الوقوف على الكثير من الحقائق الادارية الواقعية ، والامور السياسية
المهيمنة في ذلك الحين ، وان ذلك مما يدلنا بعض الدلالة الى ضرورة التعمق
في تلك الموضوعات من ما أخذ اخرى كلما بحثنا عنها او تسرت لنا ...

لقد قابل المترجم المستر لونكريك (٧) في حفل ايام زيارته قبل الاخيرة
لبغداد وكانت على ما يحضر له عام ١٩٤٨ - وسأله عن رايه فيما دونه ريج
في رحلته فلم يجده - وهو مؤرخ دقيق - ميالا الى الاخذ بكل ما كتبه ريج عن
الاكراد ، في الوقت الذي يرى المترجم ان العلامة المستر
(ف . مينورسكي - V. Minorisky) - وهو من اعلام الدراسات الشرقية -
يستشهد في بحث له في (الكوران - The Goran) بما جاء عنهم في هذه
الرحلة . ومهما كان الامر فليس من الصواب ان نأخذ بما جاء في هذه
الرحلة أخذا علميا دون تمحيص وتدقيق ، وذلك لان صاحب الرحلة على
فطنته وكفائته وذكائه ونشاطه ، لم يؤم البلاد التي ساح فيها لدراسة شؤونها
دراسة متبحر ، وان امها لهذا الغرض فما كان الوقت الذي قضاه فيها كافيا
لتحقيق مراميه ، ومن الجهة الاخرى نراه يدعى في مستهل رحلته ويكرر
ادعاءه في اماكن اخرى منها ، ان الغرض من رحلته هو الراحة والاستجمام ،
وبالرغم من ان طلب الراحة والاستجمام لا يمنع المرء من التبع ، نرى ان
رحلته لم تكن خالية من غايات لا نعرفها ؛ اذ اتنا بينما نراه يبحث ويناقش
امورا ادارية او سياسية مع من كان على اتصال بهم نراه ايضا يتسل من
الموضوع ببراعة ومهارة قلما اتصف بها غيره من الرواد البريطانيين الذين
اموا هذه البلاد ، والذين كثرت سياحاتهم في تلك الحقبة من الزمن .
وعلى كل ان ما ورد في هذه الرحلة من معلومات قد تجلو بعض الغموض
للباحثين في تاريخ البلاد في ذلك العهد وهو عهد لم تضيئه انوار العلم الا قليلا .
والمترجم يعد نفسه سعيدا ان اوفى عمله هذا ببعض الخدمة في هذا المضمار ،
مهما كانت ضئيلة ...

٤

ذكر المترجم في اعلاه ، انه اراد ان يتم المرحلة الاولى من الرحلة

(٧) راجع الحاشية الرقم (٥) .

بالحاق فصل الجزء الثاني عشر ويمهد لها باضافة ملحق منه الى الجزء الاول ،
اعتقادا منه ان هذه المرحلة تنتهى فى الموصل ، وبذلك زاد فى حجم الجزء .
وهو يعتذر من الجهة الاخرى عن ارجائه طبع ما كان يرغب فى تدوينه بعض
الملحوظات والهوامش الايضاحية الى نهاية هذا الجزء لانه رأى ذلك مما
يزيد فى حجمه ايضا ويزيد فى تأجيل امد نشره مدة اخرى ، وقد
أشير الى مواقع تلك الملحوظات والهوامش بارقام صغيرة حصرت بين قوسين
فى النص ومثال ذلك ما ورد منها فى الصفحات ٣ و ١٠ و ١٣ و ٠٠٠٠ و ٢٠١ و
٢٢٨ و ٠٠٠ الخ . هذا ولم يهمل المترجم التعليق باختصار على ما ورد فى
هذا الجزء من الرحلة من اغلاط فى اسماء بعض الاماكن والقبائل ، وعلى بعض
الطعون فى المعتقدات والمزايا ، ولكنه لم يشاء مطلقا ان يترسل مطلقا فى هذه
التعليقات او الاكثار منها . وهو يرجو ان تصل اليه ملحوظات من القراء ،
ليضيفها مع ما عنده على الجزء الثانى عند نشره ونشر الخريطين المرفقتين بالجزئين
والشرح الذى ورد عنهما فى الاصل فى مستهل الجزء الاول . اما السبب الذى
دعا المترجم الى تأخير نشر الخريطين هو اعتقاده بانهما اصبحتا فى يومنا هذا
ذات قيمة تاريخية فحسب تتم عن اعمال المستر ريج الشاقة فى سعيه فى المسح
لتثبيت بعض المواقع الجغرافية .

واخيرا يشكر المترجم كل من عاونه فى اظهار هذا الكتاب كما هو بين
يدى القارىء من الاخوان الافاضل جميعا ، ويخص منهم - مع حفظ الالقاب -
الصديق السيد سعيد قزاز متصرف لواء الموصل حاليا الذى اعاره النسخة
الانكليزية هذه المدة الطويلة - ونسخ الكتاب نادرة جدا - والصديق السيد
نجيب رشيد معاون مدير الداخلية العام الذى كانت له المساعدة القيمة فى
تثبيت تلفظ الكثير من الاعلام الكردية .

ونتضرع الى الله ان يوفق الجميع الى خدمة البلاد والعلم خدمة صادقة
صدوقة فى ظل صاحب الجلالة الملك فيصل الثانى ، ورعاية وصيه الامين وولى
العهد صاحب السمو الملكى الامير عبدالاله المعظمين .

بغداد ١٥ ايار ١٩٥١

بهاء الدين نوري

مقدمة النشرة

ان ما يتضمنه مختصر حياة المستر ريج الذى يلى هذه المقدمة من بحث مما يغنيا عن ذكر شىء فى هذه المقدمة عن سجل حياته ، ونشرة هذا الكتاب مدينة بما جاء فى ذلك البحث الى الطاف صديق ابى ان يذكر اسمه ، وهى لهذا لا يسعها ان تذكر شيئا عنه سوى ان المامه الشخصى بالموضوع وعنايته الكبيرة به مما اهله حو الأمل لاداء المهمة التى تفضل بالقيام بها بناء على طلبها .

ان الجزئين المقدمين الان للقارىء من هذا الكتاب يتضمنان كل ما هو موجود من ثمرة العمل الذى باشر به المستر ريج على قياس واسع جدا والذى من اجله عكف على درس مختلف المواضع العلمية التى كان يأمل ان يساعده الامام بها على تحقيق امنيته ، فقد شعر انه ينتظر منه كشخص توافرت له امتيازات وتسهيلات كثيرة - ان يضع كتابا عن الرحلات فى الشرق يختلف كثيرا عما يسكن توقعه من الرحلة الآخرين اذ انه قضى سنين عديدة فى آسيا وتكلم عدة لغات آسوبة بطلاقة ، وكانت له معرفة دقيقة باخلاق الناس وعاداتهم . وعلمه سجده القارىء انه نصف البلدان التى اقام بها كأحد ابنائها وان ملاحظاته التى هى وليدة حمرة طويلة لسبب واردة كالكشافات جديدة بل كحقائق مثبتة ، وانه كثيرا ما يلجأ الى امور تدل على دقة تحسه بشعور الأهلين ومعرفة بعاداتهم ولكنها قد تبدو غامضة او قد لا بكثر لها اولئك الذين ليس لهم من سعة الاطلاع فى الموضوع ما كان عليه هو ؛ ولو قدر له ان يعيش وينشر مؤلفه نفسه ليزاد عليه الشىء الكثير - مادة وفائدة - باضافة تفاصيل وافية من معلوماته الشخصية ومن اتصالاته اليومية بافراد الشعب .

اما الان فان الأوراق التى نشرها تنفسن على الاخص تلك التفاصيل التى دونها فى حينها خشية افلاتها عن ذاكرته ، مع العلم ان كل قيمتها تتوقف على صحتها ، ولعله كان يختصر هذه التفاصيل بعد ان يكون قد اتم خارطته التى نجده بالغ التدقيق من احدها فيما دونه من ملاحظات عن الاراضى والامور الاخرى ذات العلاقة الجغرافية .

ومع ان هذين المجلدين لا يستحلان من الوقائع التى حدثت اثناء الرحلة

بالقدر الذى كان يكون لو انهما صدرا عن المؤلف مباشرة فأن ذلك لا يعدمهما
الفائدة التى ترجوها الناشرة حيث انهما يأتيان على وصف بلاد قلما
وطأها الاوروبيون ولم يسبق ان وصفها احد من الانكليز على ما يعتقد .
فهذا الاعتبار وحده - ان لم يكن بسواه - نأمل ان يجد القارىء فيهما ما
يفيه حقه .

واذا ما سئل عن السبب فى عدم نشر هذا الكتاب قبل الان فلا يسع
الناشرة ان تجيب باكثر من القول بأن السبب انما يرجع الى ظروف
عديدة مما لا ترى حاجة لاشغال القراء بسردها ، وانها بشعورها
العميق بعدم استطاعتها النهوض بهذه المهمة فقد ظلت مدة طويلة منكشمة
عن محاولتها فى النشر ولم يشجعها ويحثها الا عطف الاصدقاء العديدين
ومساعداتهم ، ولا يسعها اغفال ذكر واحد منهم هو السير آر . اج . انكلس
فهو بالرغم من كثرة مشاغله لم يخل عليها بما سهل مهمتها ، وكان دائم
الاستعداد لابداء المعاونة والمشورة لها .

كلاهما - Clapham - آذار سنة ١٨٣٦

موجز حياة المستر ريج

ولد (كلوديوس جيمس ريج) كاتب هذه اليوميات في ٢٨ آذار سنة ١٧٨٧ م. على مقربة من (دينجون) من اعمال (بورغوندي) في فرنسا. ثم نقل وهو طفل الى (بريستول) في انكلترا حيث قضى السنوات الاولى من حياته برعاية والديه .

ولقد ظهرت عليه امارات النبوغ الفائق منذ نعومة اظفاره . فانه عندما كان يجتاز مراحل الدراسة الاعيادية ويتلقى مبادئ اللغتين اللاتينية واليونانية على احد اقربائه، ساقه حب الاطلاع الموفق الى تعلم لغات عصرية متعددة بدون معلم، مستعينا بالكتب . وما بلغ الثامنة او التاسعة من عمره عشر على مخطوط عربي في خزانة احد وجهاء (بريستول) ، فساورتها رغبة شديدة بالوقوف على هذه اللغة . فكان ذلك الحافز الذي وجه الرغبة الملحة التي كانت تختصر في ذهنه ، والتي وهد العزم على تحقيقها اكثر من اي شيء اخر ، وهي ميله الى دراسة العلوم الشرقية التي كان لها الاثر الفعال في توجيه حياته المقبلة . فقد تمكن بواسطة كتاب في النحو ، وفاموس وبعض المخطوطات التي استعارها من المستر (فوكس) في (بريستول) من اتقان هذه اللغة العسيرة قراءة وكتابة وان يخاطب بها بسهولة وذلافة كبيرتين ، حتى اذا ما بلغ الخامسة عشرة من عمره ، قاده هذا التوجيه الفكري الراسخ في ذهنه الى المثابرة على تحقيقه بلا ملل ، والى ان يحرز نقدا بارزا في لغات شرقية عديدة بينها العبرية والكلدانية والفارسية والتركية .

وحدث في تلك الاثناء انه بينما كان يتنزه ذات مساء في (كينزردن) من ضواحي (بريستول) ، ان صادف رجلا تركيا، فساقته الرغبة باختبار مدى اتقانه النطق باللغة التركية بحيث يفهمها منه احد ابنائها ، فتقدم من الرجل وخاطبه بهذه اللغة . وبعد ان اظهر التركي سروره ودهشته من ان يخاطب بلغته على غير انتظار ، اعلم محدثه بانه يحترف التجارة وانه الان في مأزق لان السفينة التي كان يركبها قد تحطمت عند شواطئ ايرلندا . والى جانب سرور المستر ريج بنجاح تجربته اراد ان يظهر امتنانه من هذا الغريب فانبرى لاسعافه .

ثم لم تلبث براعته الفائقة في هذا المسلك الدراسي غير المنطروق ان اثارت اهتمام معارفه الاقربين . فقدمه المستر - الدكتور فيما بعد - (مارشمان) الى

الدكتور (رايلند) وهو يومئذ من اعلام رجال اللاهوت فى ذلك البلد . فتمكن بذلك من انماء علاقته بعدد اخر من رجال الادب فى (بريستول) ، كان اخصهم المستر (فوكس) الذى ظل المستر ريج يذكره على الدوام بود خاص وعرفان الجميل ، والذى بفضل ارشاده والرجوع الى مكتبته تمكن من احراز التقدم الذى بلغه يومئذ فى دراساته الشرقية المحيية .

على انه بالرغم من استلقاته الانظار الى اتجاه دراساته غير الاعتيادية، فانه لم يكن اقل مباشرة على تهذيب نفسه بوجه عام . فقد امتاز فى هذا العهد المبكر من حياته بخلته العالية السخية الابية، والهمة التى اظهرها فى شتى صفات الرجولة والكمال .

وقد دله الاتجاه الذى انصرفت اليه دراسته مثلما دل غيره على ان الهند ستكون خير مرسح لافظهار نبوغه فى المستقبل . ففى عام ١٨٠٣ تمكن احد اصدقائه المهتمين به من التوسط له لدى شركة الهند الشرقية لتعيينه طالبا حربيا فى الخدمة العسكرية . وعندما اعلمه هذا الصديق بتعيينه، مبدىا اسفه لانه لم يتمكن من ان يجد له منصبا خيرا من هذا، اظهر المستر ريج شدة اعتماده على نفسه فاندفع يقول بسرور : «دعنى فقط اصل الى الهند، واترك الباقي الى» .

هكذا اصبح ميدان العمل الواسع الذى كان حى الان يجول فى مخيلته، وبالاخرى بعيدا عنه، فى متناول يديه . وراحت تملأ ذهنه كل الخيالات النيرة التى تلوح عادة لانظار آمال الشباب، فاسرع الى لندن، وراجع دائرة الهند لاتمام الاجراءات الضرورية التى كان عليه ان يتمها قبل تسلمه مهام وظيفته .

وفى هذه الفترة كتب (روبرت هول) المشهور الرساله التى تقتطف منها العبارات التالية الى صديقه (السير جيمس ماكتوش) ، حيث يظهر فيها اكثر من اى شىء اخر ما كان المستر ريج يتركه فى نفوس المتصلين به حتى فى هذه الحقبة المبكرة من حياته .

« شيفورد ، بالقرب من كهمبرج ٣٠ كانون الاول ١٨٠٣ »
« اسمعوا لى قبل ان اختتم رسالتى ، ان الفت اهتمامكم الى سيد شاب يدعى المستر ريج ، الذى سيرافقكم فى نفس الاسطول الذى سيقلكم الى بومباي ،

كطالب حربى .

« انه من اهالى (بريستول) وقد كان لى السرور بمقابلته مؤخرا ، وهو شاب فوق المستوى المعتاد ، تمكن بدون مساعده او بالقليل منها من تعلم لغات الشرق ، فانهن العبريه والكلدانية والفارسيه والعربيه وبالإضافة الى اللاتينية والفرنسية مع بعض الوقوف على اللغة الصينية التى بدأ يحل رموزها وهو لما يتجاوز الرابعة عشرة من عمره . »

« وهو اليوم فى السابعة عشرة من العمر ، تساوره رغبة ملحة للسفر الى الهند ليناح له الانغمار فى مبله السديد الى الاداب الشرقية ، ولذلك وبعد مشاق عديدة تمكن بالآخر من الحصول على منصب طالب حربى . »

« انه شاب من عائلة كريهة ، ذو شخصية وحذق عظيمين . ويدعى كما بينته لكم على ما اظن المستر ريج . واذا وجدتم من المناسب منحه شرف التعرف اليكم ، فانى على ثقة من انه سوف لا يجعلكم تدمون على عطفكم وتلفظكم . »

هذا وبينما كان المستر ريج ينتظر فى دائرة الهند، اذ انجهدت انظار المسر - والان السير تشارلس ويلكنس - المعروف بعلو كعبه فى لغات الشرق الى مقدرة هذا الطالب العسكري فى اللغات الشرقية، فقد وجده بعد الاختبار اعظم مما كان يتوقع، وان حذقه كان غير اغنيادى اذا قورن بالوسائل التى تمكن بها من تعلم هذه اللغات . ولذلك فانه لم يلبث ان عرضه على اعضاء مجلس الادارة كشاب يحمل من النبوغ الفريد النادر مما يجعله يشرف اية مهمة يضطلع بها تحت رعايتهم .

وبناء على هذه التوصيات التى عرضت بشأن مؤهلات المستر ريج فقد عينه المرحوم (ادوار بارى) بتقدير كلى لوظيفة كاتب تحريرات فى مؤسسة بومباى وهكذا تغيرت وجهته من الخدمة العسكرية الى الخدمة المدنية فى تلك المصلحة . ولا حل ان يتمكن من اتقان اللغتين العربيه والتركية اللتين سبق ان احرز فيهما تقدما غير منتظر، الحق بسكرتارية المستر (لوك) الذى كان يومئذ فى طريقه الى مصر كقنصل عام للحكومة البريطانية . وقد حفظت له وظيفته خلافا لما اعتادته الشركة خلال اضطراره بهذه المهمة كمن قد نسلها فعلا فى الهند .

اقلع امسر ريج فى مطلع عام ١٨٠٤ على ظهر سفينة شحن تدعى هندستان للاتحاق بالمستر (لوك) فى البحر الابيض المتوسط ولكن النار شبت فى هذه السفينة لسبب ما فى خليج (روماس) فى ايطاليا فالتجأ المستر ريج الى شاطئ (قاتالونيا) مع الملاحين، ومن هناك استأنف سفره الى (مالطة) بمعاونة

سديق له من (بريستول) ينتمى الى فرقة الارتيجافيين* . وبعد اقامة طويلة فى ايطاليا اتقن اللغة الايطالية الجميلة والكتب على دراسته الموسيقى ، ذلك الفن الذى ظل يتوسع به فى كل ادوار حياته بكل حماس ولذة .

ولقد لاءمت ايطاليا اتجاهه الفكرى اكثر من اى قطر آخر زاره ، فكان يرجع بذاكرته اليها بسرور عظيم . وحدث ان توفى صديقه المحبوب المذهب المستر (لوك) قبل تسلمه مهام منصبه ، وعندئذ سمح مجلس المدراء للمستر ريج ان يتجه فى سفرته الوجهة التى يظنها اكثر موافقة لبلوغ هدفه المنشود ، مسترشدا بآراء المستر (ويلكنس) القيمة ، وعلى هذا فقد توجه من (مالطة) الى (استانبول) مارا فى طريقه بجزائر يونانية عديدة .

وحدث انه بينما كانت السفينة التى استقفاها مارة بالارخبيل ، ان ظهرت ذات يوم سفينة ذات مظهر مريب تنجه نحو السفينة التى كان هو احد ركابها . فحسبوا انها كانت سفينة قرصان فتخذت كافة التدابير الدفاعية ضدها . لكنهم وجدوا عند اقترابها منهم انها كانت سفينة تجارية تركية فانتقل اليها المستر ريج مع جماعة اخرى . وقبل ان يمر عليه وقت طويل فوق سطح السفينة شاهد تركيا ايق البزة يتطلع اليه باعمان ، الامر الذى استرعى انتباهه . واخيرا تقدم التركى منه وقال له :-

— سيدى ، انى اعرفك .

فاجاب المستر ريج :- وانا ايضا قد رأيتك قبل هذا .

اعقب ذلك تفاهم تبين منه انه هو ذلك الرجل الذى كان قد ابهرى المستر ريج الى نجدته فى (بريستول) .

وقد اقام المستر ريج مدة فى استانبول ومنها انتقل الى ازمير . وهناك انخرط فى مدرسة مع انرايه من الشبان الاتراك لاتقان خصائص اللغة التركية ودقائقها قراءة وكتابة ، والنعمى فى اكتساب مختلف انواع العلوم الاسلامية . وقام خلال هذه المدة بسفريات مهمة متعددة فى آسيا الصغرى ، ثم عين معاونا المكولونيل (ميسيت) القنصل العام البريطانى بمصر ، فسافر الى الاسكندرية

* الارتيجافيون . — زمرة بروستانية محصورة فى سكان انكلترا واميركا ، يعتقدون بان الالوحى عليهم اثناء الفياض بفروضهم الدينية ، وهم تهيبا لاقتبال الوحى يرجفون اجسامهم ، ولذلك اطلق الافرنسيون عليهم اسم Les Trembleurs ، ونعتهم الانكليز بـ The Quakers .

— المترجم —

واستفاد من اقامته بمصر في اتقان اللغة العربية ولهجاتها المختلفة ، وفي الوقت نفسه كان يقضي اوقات فراغه بالتمرن على الفروسية واستعمال السيف والرمح ، وهما السلاحان اللذان اشتهر اعمالك باستعمالهما . فلا غرابة ان يكسب شخص مثله جمع الى صفات الرجولة اخلاصه وقيته وذكاءه ومروءته مع خفة في الروح ، احترام واعتماد الكواوين (ميسير) اكثر من كل معرفة الاخرين من الافرنج ، وان يسمي جميعهم بالاسم الذي اراه عندما انتهت المهمة التي زار من اجلها مصر ، وازفت ساعة رحيله عنها .

ولقد قرر ان يكون سفره الى الخليج الفارسي برا ، فخرج مطر مستكرا بزي مملوك ، فتجول في معظم انحاء فلسطين وسوريا . واعتمادا على براعته بلغة الترك واطوارهم ، حذر بزيارة دمشق عندما كانت معظم قوافل الحجاج محشدة فيها بطريقها الى مكة ، ودخل المسجد الكبير وهذا عمل كان يومئذ يكلفه حياته لو انكشف امره بانه مسيحي .

وكان مضيقه ، وهو يركي مستقيم ، قد سحرته لشخصيته وبذله فصاره لافناه على النقاء بدمشق عارضا عليه مصالحة والزواج من ابنته . ومن حذب قصد البصرة عن طريق ماردين وبعداد ، ومنها اقلع الى بومباي فبلغها في اوائل ايلول سنة ١٨٠٧ •

ولقد مر بنا ان النسي المحترم (روبرت هول) كان قد قدم المستر ريج لسير (ج. جيمس ماكتوش) بصورة خاصة في الوقت الذي كان يتوقع ان يسافر معه الى الهند بنفس الاسطول . فذات بغيت وجهة المستر ريج ، اتيح له قبل اقلاعه في السفينة (هندستان) بملء وجيزة ان يزور السير (جيمس) في مقره يومئذ في (رايد) انظارا للاقلاع الى الهند . وقد تسأت بين الاثنين مناسبات حتى ان المستر ريج اقام عنده عند وصوله الى (بومباي) . اما نتيجة هذه العلاقة فيمكن استخلاصها من عبارات السير (جيمس) نفسه في رسالة بعث بها الى احد اصدقائه :-

لعلك تتذكر ما كنت قد صالحت في الصحف في سنة ١٨٠٣ ان المستر باري مدير ادارة الشركة الخافي كان قد اسند منصب كاتب تحريريات الى شاب يدعى ريج لمجرد تقرير قدمه اليه المستر (ويلكنس) عن براعته العجيبة

باللغات الشرقية ، لا لغرض خاص او مجرد معرفة شخصية . وقد سافر هذا الشاب كمعاون للمستتر (لوك) الذي كان قد عين قنصلا في الاسكندرية ، ومنذ ان توفي هذا سافر المستتر ريج في معظم انحاء آسيا التركية باتجاهات عديدة ، وهو مجهز بقلمه وبعين فنان وبالشخصية والشجاعة اللتين يحتاج اليهما المسافر في بلاد « بربرية » .

فلقد اكتسب من البراعة بلغات الشرق وعاداته قدرا ، بحيث تنكر بزي تركي من كرجستان واقام بدمشق عدة اشهر بين الالوف المؤلفة من الحجاج الذين كانوا بغير يقينهم الى مكة ، دون ان يرتاب به احد المتعصبين المسلمين . يقظة وشراسة .

وقد قدمه الى صديقي المستتر (هون) وتلقيت رسائل عديدة منه ، فدعوته لزيارتي في بيتي فاقام معنا عند وصوله هذه الجزيرة (بومباي) في اوائل ايلول سنة ١٨٠٧ .

ولقد وجدنا فيه اكثر مما كنا نتوقع ، وشعرنا بأن اطلاعه العجيب على العلوم الشرقية لا يمثل الا جانبا صغيرا من مؤهلاته . فقد وجدته ادبيا بارعا في اللغات الكلاسيكية ، يجيد الفرنسية والاطالنية قراءة وكتابة كأحسن المتقنين من ابناء هاتين اللغتين . وقد جمع الى شخصيته القوية ومظهره وسلوكه كمالا وظرفا في جميع تصرفاته ؛ ورجولة مع ذكاء ودعابة ومشاعر . وقد بلغ من سروري بعلمه وبراعته ما جعلني اعده من الفلاسفة ، وحسبته جديرا بان يرشح للانتساء الى «هيكل الحكمة» من جانب صديقنا (دوغلاس ستيوارت) . وعندما سافرت الى (ملبار) تركته في بيت صديقي الفيلسوف (ارسكين) المنهمك بوضع كتابه «فلسفة الفكر البشري» . فلما عدت من سفري وجدت ان هذا الطالب في الفلسفة يرغب في ان يكون مهري . ومع انه كان غير مشر وحتى بدون وظيفة ، فلا اخالك تشك في اني وافقت على زواجه من ابنتي الكبرى بكل امتنان . لانه استطاع هذا ان يكتشف بقطنة ويقدر بصفاته شعور هذه الفتاة الفياض وتواضعها وظهارتها وطبيعتها الرقيقة تلك الصفات التي اومل ان تجعل منها مضد سعادة له مدى الحياة .

وبعد ذلك بقليل دعت المصلحة العامة الملحة تعيين مقيم لنا ببغداد ، فاجست آراء الكل على ان المستر ريج هو الشخص الوحيد الجدير بهذا

المتعصب ، وقد تم تعيينه فعلاً . وبذلك حصل على الترفيع مرتين قبل بلوغه
الرابعة والعشرين من عمره لمجرد كفاءته ، ولقد تزوج من ابنتي وسافرا معا
الى بغداد .

اما في رسالة الى المستر سول في حوالى ذلك الوقت فقد قال : -
«لقد اصبح ربيع الذي رشحته لي صهرى ، وانه لصهر لا يتردد اشد
الابوين حبا لابنتهما عن وضع مقدراتها في يده» .

اما ربيع فبعد احتفاله بزواجه في ٢٢ كانون الثاني ١٨٠٨ بمدة وجيزة
سافر الى مقر مقيمته التي كانت تضم بغداد والبصرة ، فاقام ببغداد حيث مقر
الباشا ، وحيث يسكنه موقعها المتوسط بين ادارة شؤونه السياسية مع الباشوية
والحصول على ابناء ما كان يدور في اوربا في تلك الحقبة المليئة بالحوادث
التي كان ينتظر ان يغزو فيها (نابليون) انكلترا والهند ؛ وبفضل روحيته العالية
وبعد نظره في الشؤون السياسية ووقوفه الدائم على العادات الالهية ووافر
كرمه ، اكتسب بسرعة فائقة الاحترام العتيق من الحكومة المحلية والاهلين معا .
وجربا على ما كان مغامرا في الحكم التركي نسبت في عهد مقيمته ثورات
حكومية وحصلت تبديلات بين الباشوات وقد تمكن المستر ربيع بفضل اخلاقه
العالية ان يمنح الحماية في بنه لكثير ممن كانت حياتهم في خطر من جراء
الانقلابات السياسية ، في ظروف غير اعتيادية احانا ، وحيث انه كان من حين
الى اخر يمنح هذه الحماية لعائلات الجانب المخدوم التي ما كانت لتخلص
لولا هذا المدجأ الذي لم يكن يجرا احد على حرق حرمة . وكان من دواعي
ارياسته ان يرى حوله مفعول عدالة الرسمية هذه . وحسن نيته ؛ واحيانا
لم يكن الناس يقسمون وزنه لوعود بشواتهم واعيانهم الا اذا كانت مدعومة
بضمانه .

ولقد قضى حوالى ست سنوات ببغداد ولا رفيق اوروبى له سوى زوجه
والمستر (عابن) جراح المتبسد الذي كان معاونا له ايضا . فكان يقضى اوقات
فرائغه من اعماله الرسمية في تسع دراسات المحيية له . فجميع المصادر اللازمة
لكتاب في تاريخ باشوية بغداد واستوائها الجغرافية والاحصائية ، وابتدأ بجميع
مجموعته من المخطوطات الشرقية التي لم يدخر من اجل جمعها مجهودا او
نفقات . وقد نشرت فهارس هذه المجموعة كما كانت عليها في حبه في بضمه

اعداد من مجلة «مناجم الشرق» التي كانت تصدر في (فينا) وفيها اصدق برهان على مدى النحاح الذي احرزته في مباحثه.

وقد نظر كذلك مجموعة غنية بالانواط والمسكوكات والمجوهرات والاحجار النفيسة التي عثر عليها في بابل وبنوى وطيسفون وبغداد. وقد برحلة الى بابل لدراسة آثار تلك المدينة القديمة، فجمع نتائج ملاحظاته في كتابه «مذكرات في خرائب بابل» الذي طبع لأول مرة في (فينا) في مجلة «مناجم الشرق» ومن ثم تم طبعها في انكلترا. وقد وصفت مجلة «ادن بهرد» رفوه. هذا الكتاب حق الوصف بقولها: «انه رواية متواضعة وصريحة في مشاهداته خلال زيارته القصيرة، ويكتفيها اعباء ما نعتز به من خوفنا من التحقيقات التي لا طائل تحتها او التخمينات الارتجالية. اذ كانت خير برهان على براعة المؤلف في العلوم الشرقية والكلاسيكية، وابتناءه عن الادعاء الفارغ والمبالغة الفظة، وذلك نتيجة طبيعية لعمه المكين».

وبمقدار سنة ١٨١٦ بقبل اصدار الميجر (وهنل) صحيفته المسماة «اركيولوجيا» فشر فيها ملاحظات في تخطيط بابل القديمة مستندة على مشاهدات واكتشافات كلوديوس جيمس ريج، وقد اظهر الشك في بعض آرائه. وعلى هذا قام المستر ريج برحلة اخرى الى بابل لدرس مواقعها، فشر في لندن عام ١٨١٨ كتابه «مذكرات ثانية في بابل» تحتوي على تحقيقات في المقارنة بين الاوصاف القديمة لبابل والآثار التي لا تزال تشاهد في مواقعها مبنية على «ملاحظات الميجر وهنل». وقد ايد في مذكراته الثانية هذه، استنتاجاته الاولى و اضاف فيرسا فيما في عاديات بابل مزينا بالصور المحفورة، فقبولت هذه المذكرات الثانية باهتمام عظيم في جميع انحاء اوربا لانها القت ضوءا سديدا على هذا الموضوع الذي بهم كل قراء التاريخ المقدس او القديم. وفي اواخر عام ١٨١٣ اضطر المستر ريج لاسباب خفية ان يترك مقيمة بغداد في رعاية معاونه المستر (هاين) ويسافر الى استانبول برفقة زوجته، ف قضى فيها مدد بضيافة صديقه المستر والآن (السير روبرت ليستن) الذي كان يومئذ سفيرا لبريطانيا لدى الباب العالي. وقد حصله اعتبارات شتى في اوائل عام ١٨١٤ على اطالة سفرته مارا بلغاريا وبلاد الافلاق والمجر حتى (فينا)، ومن ثم واصل الى باريس، وكانت جيوش الحلفاء قد احتلتها تواء.

كانت تلك الأيام ممتلئة بالاعمال والخدمة . وانشاء سفرة قصيرة قام بها
في (بارل) حيث التقى مع عدد من رعيته السيد (جيسس ماكتوش) فانه بقي
في هذه العاصمة (بارل) حيث احدث له الفرص لمقابلة الشخصيات المهمة
التي كانت منتشرة فيها في تلك الايام الخطيرة . الى ان رجع (بونابارت)
ففرق شملهم وجعلهم يعودون كل الى جيشه او بلاده .

وبطريق عودته الى بغداد مر المستر ريج (سويسرا) و (ميلان) ومنها الى
(المدقة) حيث ودع سكانها البلاد الاصلية الوداع الاخير . فعبر الى (تريه ست)
وعنها سافر عبر (كورفو) و (بارل) الى استامبول . وقد مر بطريقه على عدد
من ملك الجرائد في تلك الايام . فوقع (طرواند) القديم ومن (استانبول) عاد
الى (بغداد) بطريق آسيا الصغرى . فزار عدد من المستطاع بطريق مختلف عن
طريق سفرة الى اوربا . وروى عن احواله وعورده خاصة الى جغرافية تلك البلاد
سيما مواقع سلاسل الجبال . ولما قارب وادي الرافدين زار اديزة السريان
والكلدان وجمع المعلومات عن العنصر الغريب المعروف باليزيدية .

وبعد اتموله مقر مقيسيته واجل تتبعاته القديمة ، وتمكن خلال السنوات
التي قضاها فيها من اعداد مخطوطات عديدة من المخطوطات التي كانت
انضحت اوسع والذين مجموعها يشكلها اي شخص في الشرق . وقد ساعدته
ايمانه بغداد في هذه المارحة السعيدة . ووسعت كذلك معرفته من امسكو كانت
اليونانية والبردية والسكانية والاسلامية كلها برسعت مجموعته من المجوهرات
والاحجار المسلوكة . حيث افسر ايات القلم . وقد قام خلال هذه المدة
برحلته الثانية الى ابل ، وقد مر بها ذكرها . وفي سنة ١٨٢٠ أصبحت حالته
الصحية تنحصر الى قصر بيته (الهواء) فقام برحلة الى كردستان وهي الرحلة
التي قضت هذه السنوات حوادها .

وخلال عودته قام بزيارات متعددة للكنائس المسيحية في موطن الكلدان
في تلك الايام . فزارها على سائر انحاء المائدة فتسكن من ان يجمع
فيها كل ما يمكنه من الجواهر السريانية والكلدانية القديمة القيمة
للكتاب المقدس عدا مخطوطات نادرة اخرى .

وكان في هذه الفترة من هذه الايام على السفر الى اورشليم حيث عثبه
حاكمها الكبي الاسترام (منازل السورن المسكن) في منفس خطير ، لكنه حدث

ان هوجمت دار المقيمة هجوما عنيفا لا مبرر له بأمر الباشا او بتحريضه . وقد
 نجح المستر ريج في صد هذا الهجوم بقوة السلاح ، وتوجه الى البصرة فبقى
 فيها حتى دفعت التعويضات المطلوبة .
 وفي اثناء انتظاره تعليمات حكومته استغل الوقت فقام بسياحة
 الى (شيراز) ومنها توجه لزيارة خرائب (برسه بوليس) وضرريح (كورش) وبقايا
 العاديات الاخرى الموجودة في تلك الضواحي .
 وفي اثناء اقامته في (شيراز) تفشت فيها الهیضة بشدة نشرت الرعب
 في العالم . فخلال بضعة ايام مات ستة آلاف شخص من سكان البلدة البالغ
 عددهم نحو الاربعين الفا ، وعلى أثر ذلك هجر البلدة اميرها مع افراد عائلته
 وكبار اعيانها ووجهائها ومن استطاع ذلك من ابناء الطبقة الفقيرة .
 اما المستر ريج فقد ابى ان يارح المدينة . واسما بذل كل جهده لتسكين
 روع الاهلين واسعاف المرضى والمحتضرين . وكان يقضى اوقاته اياما عديدة
 في زيارتهم واسعافهم بالادوية الضرورية . وقد اسعدت قلبه مشاعر الاعتراف
 بالجميل والشكر التي اظهرها له الناس الذين انبرأ لاسعافهم .
 لكن هذه الآفة كانت قد انشبت اظفارها فيه ايضا . وظهرت
 عليه اعراض الهیضة عند خروجه من الحمام في ٤ تشرين الاول ، وعلى الرغم
 من العناية والاسعافات التي اجريت له قضى نحبه في صبيحة اليوم التالي ٥
 تشرين الاول ودفن في (جهان نما) في احدى الحدائق الملكية التي كان يقيم
 بها في تلك الايام ، وحيث نصب له تمثالا تخليدا لذكراه .
 هذه هي خلاصة نشاط هذا الرجل الفذ ، ناهيك عن نبوغه ومزاياه
 وتحصيله ، ففي العبارات القصيرة البليغة التي اجملت فيها شخصيتان مثل
 (روبرت هول) و(السير جيمس ماكتوش) سيرة هذا الرجل ما يغني عن تكرار
 سردها باقلام من هم دونهما مقدرة ، اذ قلما تعرف اليه احد الا واصبح
 مأخوذا باخلاقه مسرورا بمزاياه عدا تقديره لمؤهلاته الواضحة الفريدة . فقام
 كانت السرعة التي تعلم بها اللغات والفنون ترجع الى غريزة كامنة فيه اكثر
 من المجهود الذي بذله . ففي الحقبة الاخيرة من حياته باشر مسح البلاد العربية
 التابعة للدولة التركية بنفس السهولة التي حصل بها على معلوماته الرياضية
 العالية التي كانت تفتقر اليها مهمته .

وكان العرب والأتراك معا يتقنون فيه علمه الواسع في آدابهم . اما
بين جماعة اصحابه فكان دائما قطب الدائرة المحبب ، اذ كان على استعداد
للاتخراط في كل ملامههم بدون كلفة ، تعجبه الروح المرحه والفكاهه ،
فكان بمثابة الروح في السلائم ، ويظهر اكثر الحاضرين سعادة وهو
اصغرهم سنا .

كان ملتهب العاطفه ، نشطها . وكان بين الاصحاب الحل الوفى الصميم .
كان شديد الحب لزوجته ، وكان الشعور الدينى فيه عميقا . وكانت شخصيته
القوية تمكنه من قيادة مرؤوسيه والسيطرة عليهم . وقلما بلغت الاخلاق
البريطانية الشهرة التى بلغتها فى بلاد العرب التركية فى الايام التى تقلد
فيها منصبه ببغداد .

ولقد كانت مذكراته عن بابل الاثر الوحيد الذى نشره فى حياته ، عدا
بعض المقالات التى نشرها فى مجلة «مناجم الشرق» . وقد خلف مخطوطات
عديدة سيما يومياته المسهبة عن طريق سفره من بغداد الى استانبول ، وهى
السفرة الوحيدة - على ما يظن - التى رافقته بها السيدة ريج على ظهر جواد ،
كذلك خلف يومياته عن سفره من استانبول الى (فيينا) ومن باريس عائدا الى
بغداد ، عدا يومياته فى كردستان المطبوعة فى هذا الكتاب واوراق اخرى
عديدة فى موضوعات متفرقة .

اما مجموعته القيمة من المخطوطات الشرقية والمسكوكات والعاديات ، فقد
اشتراها البرلمان البريطانى لمنفعة المتحف البريطانى حيث هى الان .
ولسنا بحاجة للتحدث فى موضوع صفحات هذا الكتاب فانها تتحدث
عن نفسها . انها يوميات شخص فذ عن بلاد جديدة . نقول جديدة وان وجدت
اخبار متفرقة عنها فى يوميات الرحالة الآخرين الذين مروا عفا وسراعا ببعض
اقسامها . اما هذه اليوميات فانها تلقى ضوءا جديدا ساطعا على جغرافية كردستان
وعادات اهلها . وان النقاط الجغرافية التى تم التحقيق فيها لما تساعد على تعيين
المواقع ليس فى مختلف نواحي كردستان فحسب وانما فى الاصقاع المجاورة
لهذا الجزء من آسيا .

ومع لا شك فيه ان المستر ريج كان يرغب فى نشر مباحثه وملاحظاته
عن سفرته هذه * . فقد استعان فيها بكافة وسائل المسح الفنى ، وعين فى يومياته

بكل دقة النقاط التي كانت توجه سيره • ولو كان الاجل يمتد به لنشر هذه الاوراق على الجمهور بنفسه ، فلربما كان يضيف عليها الشيء الكثير من الوان مخيلته ، ويضيف اليها الكثير من المعلومات التي كانت تزدهم في دماغه ورهن اشارته ، والتي لم يذكرها في يومياته في حينها •

وفي الوقت نفسه فانه بفضل جمعه بين دقة التخطيط وبراعة القلم بالاضافة الى المسح الفنى ، فقد انجز في بعض اقسام كردستان التي كانت عبارة عن مجموعة مجهولة في احسن خرائطنا، المهمة التي لم يتم انجازها بصورة متقنة في اى قسم اخر من آسيا • وهذا ابداع مشرف له وللبلاد التي ينتسب اليها •

(*) جاء في رسالة كتبها (جيمس بيلي فريزر) الى (ويليم ارسكن) في بومباي ، مؤرخة، شيراز ٦ تشرين الاول ١٨٢١ اى بعد وفاة المستر ريج بيوم واحد، العبارات التالية :-

«عثرت بين الكتب التي وجدتها لديه على دفاتر تعليقات ومذكرات لا اشك في انها ذات قيمة كبيرة • فهي تحتوى على ملاحظات جغرافية وفلكية نحن بامس الحاجة اليها في خرائطنا الايرانية • وجميع هذه التعليقات والملاحظات عن كردستان اما ان تكون موجودة بين هذه الاوراق او انها بين الاوراق التي خلفها في (بوشهر) • وانها ستكون خسارة لا تعوض للجمهور فيما لو فقدت • ولقد حرصنا على ان لا تفلت منا او تضيع علينا اية قصاصة من الورق كانت في مكتبه، فقد تحتوى هذه الوريقات على مذكرات لها قيمتها • وقد سمعت المستر ريج يقول مرة ، ان كافة الخرائط الموجودة حاليا عن هذه الجزء من آسيا مشحونة بالاغلاط، وعبر عن رغبته في ان يتم مشروع خرائطه الخاصة التي كان يريد ان يضعها بنفسه • ونجد كذلك نسخة جد قيمة من الكتابات المسماة الموجودة في (برسه بولس) كلها مكتوبة بخط يده • وقد كان عازما على ارسال نسخة منها الى الاستاذ (غروتيفند) في المانيا •

